الفصل الرابع

معجزة إضافات قرآنية فى قصص الرسل وشعوبهم

قصص الرسل :

من وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم أنه تحدث عن قصص الشعوب ورسلها حديث المشاهد لها، مع ما هو معروف من أن محمدًا رسول الإسلام - ﷺ - كان أُمِّيًّا لا يقرأ ولا يكتب، وسجل الله ذلك فى سورة العنكبوت قائلا: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ [1] وإتيان القرآن بقصص الرسل وشعوبها جعل كثيرين من اليهود والنصارى يعلنون اعتناقهم للإسلام . وكان أعداؤه منهما يتمنون لو استطاعوا تكذيبه فى نبأ من أنباء رسلهم، وخاصة اليهود، إذ كانوا يفترون على التوراة بعض الأحكام، وكان الله فى القرآن يكذبهم ويتحداهم بمثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[2].

وبدون ريب يُعَدُّ إتيان القرآن بأنباء الرسل صادقة منتهى الصدق إعجازا لا يماثله إعجاز لنزوله وحيا على رسول أمى لم يتعلم منها شيئا ولا تدارسه على أحد من أهل الكتاب إذ كان لا يخط بيده كلمة ولا حرفا. وشيئان فى القرآن يتممان هذا الإعجاز ويؤكدانه وهما ذكره لرسول لم يرد اسمه عند اليهود والنصارى ولا تعرضت لذكره كتبهم، وهو هود رسول عاد من أهل الأحقاف فى حضرموت، فقد ذكره وذكر قصته مع قومه وعصيانهم له وما نزل بهم من عقاب أليم مرارا وتكرارا. والشىء الثانى الذى يتمم الإعجاز فى أنباء الرسل

---

(١) سورة العنكبوت الآيتان ٤٧ ، ٤٨.

(٢) سورة آل عمران الآية ٩٣.

ويؤكده أن القرآن يأتى بتفاصيل لم تذكرها التوراة ولا الإنجيل ولا أى كتاب من كتبهم، وهى تفاصيل تتسم بالصدق الربانى، لأن الله شاهد أداءها على أيدى الرسل وأقوامهم فطبيعى أن يضيف إليها - فى القرآن - بعض ما سقط منها عند أهل الكتاب، وخاصة من اليهود، وقد سجل عليهم فى سورة المائدة أنهم حرفوا التوراة ﴿وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾[1] من أنباء الرسل. وسأبدأ بعرض قصة هود عليه السلام التى لم تذكر فى التوراة، ثم أتلوها ببيان الحظ الذى نسوه، وبعبارة أخرى بإضافات نسوها ولم تسجلها كتبهم.

قصة هود وقومه عاد

كانت عاد قبيلة عربية كبيرة تنزل فى أرض بين حضرموت واليمن موغلة إلى الشمال فى رمال ناعمة سميت بالأحقاف، وهى من القبائل العربية البائدة، وكانت وثنية تعبد الأوثان والأصنام، ومن أصنامها صمود والهتّار. وكانت ذات حياة ناعمة بديارها فى خصب ومعيشة رغدة، وكانت ذات بأس وقوة، وعمرت الأرض وأذلت بجبروتها مَنْ حولها من الناس، فأرسل الله هودا إليهم لينبذوا عبادة الأوثان والأصنام ويعبدوه وحده، وليتقوا الله ويسيروا فى الأرض سيرة عادلة لا يظلمون ولا يتجبّرون.

وأخذ أخوهم هود يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده، ورفض دعوته ملؤهم أو كبارهم، ورموه كما جاء فى سورة الأعراف بالسفاهة والحمق والكذب، وهو يدعوهم صباحا ومساء ويخوفهم من غضب الله، وهم يخوفّونه من غضب آلهتهم، ويقولون له كما فى سورة هود: ﴿ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ﴾[2] أى بخبال، فإذا بك تنهانا عن عبادتها، وهو يقول لهم ليس بى خبال ولا سفه ولا أى سوء، إنما أنا رسول إليكم من رب العالمين، أريد الخير لكم والنُصح،

---

(١) سورة المائدة الآية ١٣.

(٢) سورة هود الآية ٥٤.

ولقد منحكم الله من البأس والقوة والنعم ما يوجب عليكم عبادته ، ويقول لهم – كما فى سورة الشعراء – انظروا ما أمدكم به من أنعام منها أقواتكم وعليها أسفاركم ، وما أترفكم به من جنات وبساتين وعيون، وما أنعم به عليكم من بنين تعتزون بهم، وقد بلغتم من عظم السلطان أن بنيتم فى الطرق العلامات والمنارات الهادية وصهاريج الماء التى تروى العطاش، وبدلا من أن تشكروا الله على آلائه ازددتم بطشا وجبروتا، فأضفتم إلى جحودكم بنعم ربكم طغيانا وكفرا، وستبعثون وتحاسبون حسابا عسيرا. ويسخرون منه، وكلما زاد هود قومه وعظا وإنذارًا من غضب الله ازدادوا كفرا وعتوا وجحودا فسخَّر الله عليهم الريح العقيم سبع ليال وثمانية أيام فسُحقوا حتى هلكوا جميعا ولم تبق منهم باقية، ونجا هود والذين آمنوا معه.

ولن أتحدث عما أضافه القرآن إلى قصص جميع الرسل بل سأكتفى بالوقوف عند خمسة منهم هم آدم ونوح وإبراهيم ويوسف وموسى فقصصهم كافية فى الشهادة بأنها قصص ربانية اختص بها القرآن مضيفا إليها بالقياس إلى التوراة تفاصيل تجعلها بحق معجزة لا يعلمها بشر تامة الإعجاز.

فى قصتى آدم ونوح

أ- فى قصة آدم

أبدأ بقصة آدم، وجزء منها ومن جميع القصص التى سأذكرها أعلم الله به اليهود فى التوراة كما أعلم به محمدا الأمى الذى تلقاه عن ربه، وهو إعجاز، وضاعف الله هذا الإعجاز لقَصص الأنبياء القرآنى بأن أضاف إليه تفاصيل لا توجد فى التوراة ولا يعلمها إلا الله وحده، اختص بها القرآن الموحى به إلى

رسوله محمد. وأول تلك التفاصيل فى قصة آدم الحوار بين الله والملائكة فى أوائل سورة البقرة عن خلقه لآدم وذريته وجعله خليفة لربه فى الأرض يدبرها مع ذريته، يقول جل شأنه:

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾[1] وهى مخلوقات نورانية سماوية خيرة يوجهها الله لتدبير ما يريد فى الكون ﴿ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ أى يعمرها هو وذريته، وكأن الله كان يعلم سوء ظنهم بالجنس البشرى، فأجابوه بقولهم: قَالُوا ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا ﴾ أى فى الأرض ﴿ مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ ﴾ وهو سؤال لربهم وكأنهم يتعجبون من أن يعمر الله الأرض بجنس يفسد فيها ويريق الدماء وأضافوا: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ أى ونحن ننزهك عن ذلك، فقال لهم: ﴿ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ أى إنى أعلم من صلاح البشر لتعمير الأرض مالا تعلمون.

ويلى ذلك حوار ثان بين الله والملائكة عن آدم ليس فى التوراة، إذ علمه أسماء الموجودات وعرضها على الملائكة وسألهم أن يُنْبئوه بأسمائها فعجزوا قائلين: ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾[2] واتضح عجز الملائكة عن ذلك وأن آدم وذريته مستحقون للخلافة على الأرض دون الملائكة لعجزهم عن وضع الأسماء للمسميات فيها. ويدل ذلك على أن الله ميز الإنسان. ﴿ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾[3] فأنبأهم بها. واتضحت للملائكة فضيلة آدم، فقال الله: ﴿ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ ﴾[4] إذ تبيَّن فضله عليهم بالعلم ﴿ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٠.

(٢) سورة البقرة الآية ٣٢.

(٣) سورة البقرة الآية ٣٣.

(٤) سورة البقرة الآية ٣٤.

ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾ لعصيانه ربه بإبائه السجود لآدم استكبارا. وسأله الله – كما فى سورة الأعراف: ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[1] وبذلك أعلن إبليس عصيانه لأمر ربه، واستحق عقابه فقال الله له: ﴿ فَٱهْبِطْ مِنْهَا ﴾[2] أى من الجنة ﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴾ الأذلاء. وفى سورة الحِجْر ﴿ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾[3] أى مطرود ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾[4] أى أنه مطرود ملعون إلى يوم القيامة فسأل ربه أن يبقيه ويؤجله كما فى سورة الأعراف والحجر وص إذ قال له: ﴿ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾[5] فأجابه: ﴿ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴾[6] فقال لربه ﴿ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى ﴾[7] ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ ﴾[8] أنا وذريتى من الشياطين. ويقول إبليس كما فى سورة الأعراف: ﴿ ثُمَّ لَـَٔاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ ﴾[9] أى من كل جهة حتى أغريهم بارتكاب الآثام والمعاصى، فقال له ربه كما فى سورة الإسراء: ﴿ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾[10] أى جزاء إبليس وذريته من الشياطين والغاوين من الناس أجمعين.

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٢.

(٢) سورة الأعراف الآية ١٣.

(٣) سورة الحجر الآية ٣٤.

(٤) سورة الحجر الآية ٣٥.

(٥) سورة الأعراف الآية ١٤.

(٦) سورة الأعراف الآية ١٥.

(٧) سورة الأعراف الآية ١٦.

(٨) سورة ص الآية ٨٢..

(٩) سورة الأعراف الآية ١٧.

(١٠) سورة الإسراء الآية ٦٣.

ويأمر الله آدم أن يسكن الجنة مع حواء، ويأكلا فيها ما يشاءان إلا من شجرة عيَّنها لهما، وقال لهما كما فى سورة طه: إن إبليس عدو لكما فاحذراه حتى لا يخرجكما منها، ولكما فيها ألاَّ يمسكما جوع ولا شعور بأنكما عاريان ولا ظمأ ولا حر شمس، ويذكر الله فى سورة الأعراف أن إبليس وَسْوس لهما قائلا: ﴿ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾[1] وما زال يغريهما بالأكل منها حتى أكلا منها كما فى سورتى الأعراف وطه ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا ﴾[2] أى عورتاهما ﴿ وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ ﴾ أى يلصقان عليهما من ورق الجنة، ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ ﴾ كما فى سورة الأعراف ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ وسألاه الغفران والرحمة فتاب عليهما وأمرهما معا بالهبوط من الجنة إلى الأرض قائلا: ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴾[3]. وكل ما ذكر فى قصة آدم من حوار الله مع ملائكته عن جعله خليفة فى الأرض وعن علمه بالأسماء وعن سجود الملائكة له إلا إبليس واحتجاجه لله فى عصيانه عن أمره بالسجود لآدم وطرده من الجنة ولعنه إلى يوم البعث وإغوائه هو وذريته للبشر وإعلامه بأنه من أهل النار، وسكنى آدم مع زوجته حواء الجنة وإغراء إبليس لهما بالأكل من شجرة نهاهما الله عن الأكل منها، وطاعتهما له وعصيانهما لله وانكشاف عورتيهما لهما وسترهما بورق الجنة وعتاب الله لآدم فى مخالفة أمره، وهبوطهما مع

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٠.

(٢) سورة الأعراف الآية ٢٢.

(٣) سورة الأعراف الآيتان ٢٤ ، ٢٥.

إبليس عدوهما إلى الأرض، كل تلك تفاصيل فى قصة آدم بالقرآن لا توجد فى التوراة، والقرآن - بذلك ليس معجزا فقط بأن رسوله محمدًا الأمى جاء فيه بقصص على وجهها الدقيق وهو أمى لا يقرأ ولا يكتب بل لقد أضاف الله فيها كثيرا من المغيبات التى لم يكن يعرفها أهل التوراة وغيرهم من أهل الكتب السماوية فى عصر الرسالة النبوية .

ب- فى قصة نوح

فى التوراة أنه ابن لامَك بن متوشالخ بن أخنوخ، وكان قومه يسكنون فى شمال العراق حسب ظن المؤرخين، وكانوا وثنيين يعبدون أصناما كثيرة كما فى سورة نوح، وأكثروا من الفساد والشرور والآثام، فأرسل الله نوحا إليهم لهدايتهم فآمن به الضعفاء والفقراء، وظلوا قليلين بينما ظل أشراف القوم وكبراؤهم يعارضونه معارضة شديدة قائلين له كما فى سورة هود :﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾[1] ويطلبون منه أن يطردهم، ويقول لهم ما أنا بطاردهم مخافة الله ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّى مَلَكٌ﴾[2] إنما أنا بشر مثلكم أدعوكم إلى عبادة الله وتوحيده وأنذركم إن لم تعبدوه وتتركوا عبادة الأوثان والأصنام فسينزل بكم عذابا أليما سوى ما ينتظركم من العذاب بعد البعث. وعبثا يذكرهم بنعم الله عليهم وما أمدهم به من أموال وبنين وببدائع صنعه فى الكون، وهم يزدادون تصميما على الكفر والعصيان ويضرع إلى الله قائلا: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾[3] أى إنسانا. وتحمل سورة نوح دعوته بالتفصيل لقومه

---

(١) سورة هود الآية ٢٧.

(٢) سورة هود الآية ٣١.

(٣) سورة نوح الآية ٢٦.

وشريعته التى أشار الله إليها فى سورة الشورى بقوله: ﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا ﴾[1] وهى تدعو إلى عبادة الله وتنذر قوم نوح بعذاب الله إن لم يعبدوه وينبذوا عبادة الأصنام، وتعظهم بما ينعم به عليهم من الأمطار ومن الجنات والزروع والأنهار، وتحثهم على الإيمان بالله وخوف عذابه ورجاء ثوابه، وتستدل عليهم فى وحدانية الله وعبادته بقدرته العظيمة فى خلقهم أطوارا من الصبا إلى الشيخوخة وفى خلق الكون وتدبيره وخلق السموات وإضاءة الليل بنور القمر والنهار بضياء الشمس وإنبات الناس من الأرض وعودتهم إليها حين يموتون وخروجهم منها حين يبعثون وجعله الأرض لهم بساطا لزروعهم وليسلكوا طرقها فى مسيرهم.

والتوراة لا تذكر ذلك كله، إنما تذكر الطوفان الذى أهلك الله به الكفار من قوم نوح وأنه أمره أن يبنى له وللمؤمنين معه فلكا أو سفينة تنجيهم من الغرق فى الطوفان الذى سيعم ديارهم. ويأمر الله نوحا كما فى القرآن بسورة هود والتوراة أن يدخل فى السفينة زوجين اثنين من كل حيوان وطير ومن آمنوا به وأهله ﴿ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ ﴾[2] وهو استثناء من أهل نوح ليس فى التوراة، وفيها أنه كان لنوح ثلاثة أولاد: سام وحام ويافت ويقول الله له: "تدخل الفلك أنت وبنوك (أى المذكورون) وامرأتك ونساء بنيك معك". ودخول امرأة نوح فى الفلك ونجاتها من الطوفان ينقضه ما جاء عنها بالقرآن فى سورة التحريم من أنها كانت كافرة ومن أهل النار. وذكر القرآن لنوح فى سورة هود ابناً لم تذكره التوراة، ولم يركب السفينة معه ومع الناجيين من الطوفان، يقول الله:

---

(١) سورة الشورى الآية ١٣.

(٢) سورة هود الآية ٤٠.

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا
مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾[1].

﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى﴾[2] ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ
عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ﴾[3] واعتذر نوح لربه وطلب منه المغفرة والرحمة. وقرَّت السفينة على جبل الجودى ويسمى اليوم أراراط، وقال الله لنوح: ﴿ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ
عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ﴾[4].

وفى التوراة أن الطوفان ظل أربعين يوماً وأن المياه تعاظمت وغطت الجبال وبارك الله نوحا وبنيه وقال لهم أثمروا واكثروا واملئوا الأرض. وتذكر التوراة أن الطوفان عم جميع الأرض وأن البشر جميعا من نسل نوح. وكأنه أب ثان للبشر. والأولى أن الطوفان كان خاصا بنوح وقومه .

فى قصة إبراهيم

إبراهيم اسم الرسول العظيم أبى الأنبياء الملقب بالخليل لربه، وهو – كما فى التوراة – ابن تارح، وترفع نسبه إلى نوح وتجعل بينه وبين تارح ثمانية جدود أو آباء. وفى سورة الأنعام: ﴿* وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا

(١) سورة هود الآيتان ٤٢ ، ٤٣.
(٢) سورة هود الآية ٤٥.
(٣) سورة هود الآية ٤٦.
(٤) سورة هود الآية ٤٨.

ءَالِهَةً ﴾[1] وحاول بعض المفسرين التوفيق بين ما تبادر فى الآية الكريمة من أن آزر اسم أبيه وبين ما جاء فى التوراة من أن اسمه "تارح" وخير الآراء أن "آزر" فى الآية الكريمة ليس اسم أبيه، وإنما هو اسم صنم كان يعبده تارح، وهو منصوب بفعل مضمر على تقدير: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ أَتَتَّخِذُ آزَرَ إلها أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً).

وولد إبراهيم حوالى سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد فى مدينة أور بديار الكلدانيين فى العراق، وكان أبوه يحترف نحت الأصنام للكلدانيين، وتبدأ التوراة قصته فى سفر التكوين بالإصحاح الثانى عشر حين بلغ من العمر خمسا وسبعين سنة، فليس فيها شيء عن نشأته بديار الكلدانيين وكانوا صابئة يعبدون الكواكب ولاعن شكه فى عبادتهم ولاعن مراجعته لأبيه وقومه فى تلك العبادة الوثنية، للكواكب، ويعرض الله أطوار شكه فى عبادتها قائلا بسورة الأنعام:

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[2]

والله يقص عن إبراهيم أنه لما ستره الليل بظلامه الشديد تأمل فى السماء، فرأى كوكبا منيرا، قيل هو كوكب الزهرة، فقال هذا ربى خالقى المستحق

---

(١) سورة الأنعام الآية ٧٤.

(٢) سورة الأنعام الآيات ٧٦ ، ٧٩.

لعبادتى، وغرب وغاب وراء الأفق، فرفض أن يكون إلهه، ورأى القمر مشرقا، فقال هذا ربى، وأفل وغرب، فشك فى ألوهيته، ورأى الشمس مشرقة، وأكبر من القمر وأكثر إضاءة فقال هذا ربى، وغربت فأعلن لقومه أنه برئ من عبادتهم، وهداه الله - أو قل ألهمه - بتأمله فى الكواكب وفى ملكوت السموات والأرض أن يترك عبادة الكواكب والقمر والشمس ويتجه مستقيما إلى عبادة ربه خالق السموات والأرض . ويقول الله عقب ذلك: إن قومه جادلوه فى عقيدته، فقال لهم أتجادلوننى فى عبادة الله وقد هدانى .

وجادله أبوه فى انصرافه عن عبادة الكواكب مرارا. ومما كان يقول إبراهيم لأبيه - كما فى سورة مريم:

﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴾[1]

أى فترة، وعرف له إبراهيم حق الأبوة ويئس منه حينئذ فقال له: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴾[2]. وجادل قومه فى عبادتهم الكواكب طويلا وسمع به الملك واستدعاه، وجادله فى ربه كما فى سورة البقرة وقوله تعالى:

---

(١) سورة مريم الآيات ٤٢ ، ٤٦.

(٢) سورة مريم الآية ٤٧.

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾(١)

وظل يهذى بعقيدته الضالة.

وكان فى إبراهيم حب الاستطلاع فسأل ربه عن البعث كيف يكون؟ فقاله له – كما فى سورة البقرة: ﴿ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ﴾(٢) أى اضممهن إليك واذبحهن ﴿ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ﴾ أى اجعل أجزاءها على الجبال ﴿ ثُمَّ ادْعُهُنَّ ﴾ فإن أجزاء كل طائر تتضام بعضها إلى بعض ويأتينك وكأنما لم يصبها ذبح ولا موت .

ومضى إبراهيم يحاج أباه وقومه من الكلدانيين طويلا، وكان مما قاله لهم – كما فى سورة الأنبياء –: ﴿ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ (أى الأصنام) الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾(٣) ونوى فى نفسه الشر لتلك التماثيل التى يعبدونها وأقسم ليكيدنَّها بعد أن يزوروها وينصرفوا، وأحضر فأسا حطمهم بها ﴿ فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا ﴾(٤) أى قطعا ﴿ إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ ﴾ وضع الفأس فى رقبته. ودخل قومه بيت أصنامهم ورأوها محطمة إلا كبيرها. وسألوا إبراهيم: ﴿ أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا ﴾(٥) فقال ساخرا منهم ومن

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥٨.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٦٠.

(٣) سورة الأنبياء الآيات ٥٢ ، ٥٤.

(٤) سورة الأنبياء الآية ٥٨.

(٥) سورة الأنبياء الآية ٦٢.

آلهتهم: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ﴾[1] والفأس لا تزال معلقة برقبته. وتشاوروا وأجمع رأيهم على أن إبراهيم هو الذى حطم الأصنام وقالوا – حرقوه انتصارا لآلهتنا، ووافقهم الملك وأمر بإحراقه وجمعوا له حطبا كثيرا وأوقدوا النار فيه. ثم ألقوا بإبراهيم، ويقول الله كما فى سورة الأنبياء ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾[2] فقد سلبها الله قوة الإحراق، وجعلها سلاما وبردا لإبراهيم فلم يصبه منها أى أذى، وهى معجزة عظيمة لإبراهيم.

ويئس إبراهيم من دعوة الكلدانيين إلى عبادة الله إذ لم يؤمن بدعوته سوى زوجته سارة وابن أخيه لوط، وكان قد بلغ من العمر خمسا وسبعين سنة كما فى الإصحاح الثانى عشر من سفر التكوين بالتوراة، فأمره الله أن يترك ديار الكلدانيين ويذهب من أرضه ومن عشيرته ومن بيته إلى الأرض التى يباركه فيها ويجعل من نسله أمة عظيمة، وهى أرض فلسطين وأخذ معه سارة وابن أخيه لوطا، واختار إبراهيم مكان شكيم (نابلس الآن) ومن هنا تبدأ قصة إبراهيم فى سفر التكوين. ومعنى ذلك أنها نقصت فيه الشطر الأول من حياته فى ديار الكلدانيين الذى صور فيه القرآن شكه فى عبادة الكواكب التى كان يعبدها الكلدانيون وإيمانه بعبادة الله خالق الكون ومدبره ومحاجته العنيفة لأبيه والكلدانيين والملك فى ضلالهم وشركهم ووجوب عبادة ربهم وكيده لأصنامهم بتحطيمها وإلقائهم له فى النار وأمرها الله أن تستحيل بردا له وسلاما.

كل تلك الأحداث لإبراهيم فى ديار الكلدانيين لم يكن يعرفها اليهود ولا العرب إذ كانت من أنباء الغيب الذى لا يعرفه إلا الله . وأمثالها فى قصص الرسل الذين اخترتهم تضاعف فكرة الإعجاز بالقرآن وقصص الأنبياء فيه.

---

(١) سورة الأنبياء الآية ٦٢.

(٢) سورة الأنبياء الآية ٦٩.

وكانت سارة زوجة إبراهيم عاقرا لم تلد ، وتقدم بهما السن، وكان لها جارية مصرية اسمها هاجر - كما فى الإصحاح السادس عشر من سفر التكوين - فأشارت على زوجها إبراهيم أن يدخل عليها لعله يرزق منها بولد، وسمع لقولها، ودخل على هاجر بعد إقامتهما فى فلسطين عشر سنوات، ورزق مها بولد سماه إسماعيل. ومضت الأيام. وفى الإصحاح الحادى والعشرين أن سارة ولدت لإبراهيم فى شيخوخته ابنه إسحاق، وقالت لإبراهيم: اطرد هذه الجارية وابنها حتى لا يرثك مع ابنى إسحاق، ونفذ إبراهيم ما أمرته سارة به، فحمل هاجر وابنها إسماعيل إلى برية "بئر سبع" وتركهما هناك. ونادى ملاك الله هاجر من السماء: لا تخافى فإن الله سيجعل إسماعيل أمة عظيمة. ونما إسماعيل وسكن فى برية فاران . وفى معجم لسان العرب أنه اسم عبرانى لجبال مكة.

وقد نقلتُ عن التوراة بسفر التكوين كل ما جاء فيه عن هاجر وإسماعيل ليتضح أن رحلة هاجر وابنها إسماعيل مع إبراهيم إلى مكة لم تذكر فى التوراة ولم تفصل فى القرآن الكريم، غير أن فيه بسورة إبراهيم إشارة واضحة إليها، إذ يقول الله على لسان إبراهيم: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾[1] والوادى الذى لا زرع فيه هو وادى مكة. وفى الإصحاح السادس والعشرين بسفر التكوين أنه رُزق اثنا عشر ولدا رؤساء قبائل وأن الله سيجعله أمة كبيرة مثل إسحاق وفيها أنه عاش مائة وسبعا وثلاثين سنة.

وهذا كل ما ذكره سفر التكوين عن إسماعيل ولم يشر أى إشارة إلى ما جاء فى سورة البقرة بالآيات ١٢٧ إلى ١٢٩ من بناء إبراهيم وإسماعيل للكعبة واتخاذها بيتا لعبادة الطائفين والعاكفين والركع السجود وأن الله يجعل من

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٣٧.

ذريتهما أمة مسلمة ويبعث فيهم رسولا منهم. وفى سورة آل عمران: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾[1] لعبادة الله ﴿لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾[2] ويجعل الله الحج إلى الكعبة فريضةً فى شريعة إبراهيم ويأمره أن يذيع ذلك فى الناس قائلا فى سورة الحج:

﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ﴾[3] (أى أعلمهم) ﴿بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ أى ماشين وراكبين ﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ من الخيل والإبل ﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أى من كل طريق بعيد ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾[4] من التجارات ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ هى أيام النحر ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾ عند ذبحها وهى الإبل والبقر والغنم ﴿فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ﴾[5] أى مناسك الحج ﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾ من أعمال البرِّ ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ وهو الحرم الشامل الكعبة.

وليس فى سفر التكوين بالتوراة أى شىء عن رحلة إبراهيم بهاجر وابنه إسماعيل إلى وادى مكة وبنائه مع إسماعيل فيها الكعبة، وبالمثل ليس فيه شىء عن فريضة الحج إليها فى شريعته وأنها أول بيت وضع لعبادة الله فى الأرض، كما أنه ليس فيها شىء من أخبار إبراهيم فى حياته بديار الكلدانيين مما عرضناه فى الصحف السابقة. وكل ذلك من أنباء الغيب التى تصور إعجاز القرآن الربانى.

---

(١) سورة آل عمران الآية ٩٦.

(٢) سورة آل عمران الآية ٩٧.

(٣) سورة الحج الآية ٢٧.

(٤) سورة الحج الآية ٢٨.

(٥) سورة الحج الآية ٢٩.

فى قصة يوسف

ليوسف فى القرآن الكريم سورة تشتمل على مائة وإحدى عشرة آية، وتبدأ قصته فى التوراة بسفر التكوين من الإصحاح السابع والثلاثين إلى الإصحاح الخمسين. وتبدأ فى سن السابعة عشرة، وحلَم حلْما فى القرآن والتوراة جميعا أنه رأى الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً ساجدين له، وقصَّه على أبيه، فقال له - كما فى القرآن - ﴿ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ﴾[1] وفى التوراة أنه قصَّه على أبيه وإخوته وانتهره أبوه، وكان يحبه أكثر منهم فأضمروا له الشر وقال بعضهم لبعض اقتلوه أو اطرحوه أرضا، وقال قائل منهم لا تقتلوه وألقوه فى قاع جِبٍّ تلتقطه منه قافلة.

ويقول القرآن إنهم ذهبوا إلى أبيهم وقالوا له: ﴿ مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ۝١١ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[2] وفى التوراة أنهم ذهبوا بغنم أبيهم إلى شكيم (نابلس) ليرعوها وأنه أرسل إليهم يوسف ليطمئن على سلامتهم وسلامة الغنم. وقال لهم - كما فى سورة يوسف: ﴿ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ۝١٣ قَالُوا۟ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴾[3] وفى التوراة أن يوسف جاءهم وهم يرعون الغنم فخلعوا عنه قميصه المخطط الذى حباه به أبوه، وأُجمع رأيهم أن يجعلوه فى جب (بئر عميق)، وألقوه فيه، وأوحى الله إلى أبيه يعقوب: لا تذكر لهم ما صنعوه بيوسف، وجاءوا

---

(١) سورة يوسف الآية ٥.

(٢) سورة يوسف الآيتان ١١ ، ١٢.

(٣) سورة يوسف الآيتان ١٣ ، ١٤.

أباهم عشاء يبكون، وفى أيديهم قميص يوسف وقد غمسوه فى دم وقالوا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب، وقدموا له قميص يوسف وعليه الدم ليصدقهم، فلم يصدقهم وقال لهم: ﴿ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[1].

وأما يوسف فإن قافلة مديانية من التجار مرت بالبئر وأرسلت واردها ليأتيها بماء منه فتعلق يوسف بالدلو، وقال الوارد يا بُشرى هذا غلام، وبيع لقافلة إسماعيلية متجهة إلى عاصمة مصر، وباعوه بها إلى فوطيفار رئيس شرطة فرعون كما تقول التوراة، ولم يكن الفراعنة المصريون يحكمون مصر حينئذ، إنما كان يحكمها الرعاة الهكسوس الذين نزلوا بها من آسيا، ولذلك لا يسمى القرآن حاكمهم فى عهد يوسف فرعونا، بل يسميه ملكا. وتلك معجزة عظيمة للقرآن الكريم ودليل يقينى على أن اليهود حرَّفوا كلم التوراة كما جاء فى آية سورة النساء رقم ٤٦ وسورة المائدة رقم ١٣. وهو ما جعلنى أقابل بين قصة يوسف فى القرآن وقصته فى التوراة المحرفة بشهادة واضعها وواضع ألواح التوراة: رب العزة، وسجل عليهم فى سورة المائدة أنهم حرفوا التوراة ﴿ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾[2] أى ونسوا فقراً من التوراة، فأخطئوا فى روايتها أو أهملوها تماما.

وأعجب بيوسف فوطيفار رئيس شرطة ملك مصر الهكسوسى فدفع إليه كل ماله ووكّله على ما كان له فى البيت والحقل كما تقول التوراة. وكان وسيما وحسن المنظر فأعجبت به زوجته، ووقع فى قلبها حبه، وتقول التوراة: فى يوم لم يكن أحد من أهل البيت فيه فأمسكته بثوبه وسألته أن يضطجع معها

---

(١) سورة يوسف الآية ١٨.

(٢) سورة المائدة الآية ١٣.

فترك ثوبه فى يدها وخرج، فنادت أهل بيتها وقالت لهم إن زوجها جاءها برجل عبرانى ليداعبها، ودخل إليها ليضاجعها فصرخت فترك ثوبه بجانبى وهرب وخرج. وجاء سيده فوطيفار إلى بيته. وكلمته زوجته بمثل هذا الكلام الذى ذكرته لأهل البيت، فأخذه وسجنه فى سجن أسْرَى الملك.

وتختلف قصة هذه الحادثة فى التوراة عما جاء عنها فى سورة يوسف إذ يقول الله إنها راودت يوسف وغلّقت الأبواب، وقالت له إنى تهيأت لك أقبلْ فقال لها معاذ الله مما دعوتنى إليه إن زوجك (ربى) أى سيدى (أحسن مثواى) أى مسكنى وعيشى ومأكلى فلا أخونه (واستبقا الباب) وقدّت قميصه من الخلف (وألفيا سيدها) فوطيفار (لدى الباب) فقالت له إنه أراد بأهلك سوء، وجزاؤه أن يسجن أو يعذب عذابا أليما، فقال يوسف: (هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قُدَّ من قُبُل) أى شق من الأمام (فصدقت وهو من الكاذبين، وإن كان قميصه شق من الخلف فكذبت وهو من الصادقين. فلما رأى فوطيفار أن قميص يوسف شق من الخلف. قال: يوسف (أعرض عن هذا) أى اضرب عنه صفحا ولا تذكره لأحد، واتجه إلى زوجته قائلا: ﴿وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ﴾[1] إنك من الخاطئات. وشاع الخبر فى المدينة، فرأى فوطيفار تبرئة لزوجته أن يودع يوسف فى السجن إلى حين.

ويذكر الله حادثة ليوسف قبل دخوله السجن لم تذكر فى التوراة ذلك أن نسوة فى المدينة قلن إن امرأة فوطيفار تراود يوسف عن نفسه إذ شغفها حبا (فأرسلت إليهن وأعدت لهن مجلسا لطعام يقطع بالسكاكين مثل التفاح وأتت كل واحدة منهن سكينا وقالت له حين أخذن يأكلن (اخرج عليهن) فلما رأينه

---

(١) سورة يوسف الآية ٢٩.

أكبرنه وعظمنه لجماله (وقطعن أيديهن) أى حززنها بالسكاكين ذهولا وقلن معاذ الله إنه ليس بشرا إنه ملك كريم .

وشاع فى المدينة خبر تعلق امرأة فوطيفار بيوسف، فرأى حفاظا على سمعتها أن يدخله السجن ودخله معه فتيان: ساقى الملك وخبازه وتوسما فيه معرفته بتفسير الأحلام. فقال الأول له إنى رأيت فى المنام أنى أعصر خمرا، وقال الثانى إنى رأيت فى المنام أنى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه، فقال للأول إنك ستعود ساقيا للملك واذكرنى عنده، وقال للثانى إنه سيصلب وتأكل الطير من رأسه. وتحقق تفسيره. ورأى الملك فى منامه سبع بقرات هزيلة تأكل سبع بقرات سمان وسبع سنبلات يابسات تأكل سبع سنبلات خُضْر . وقص حلمه على كهنة مصر فعجزوا عن تفسيره. فذكر له الساقى أن عبرانيا، فى السجن يفسر الأحلام وذكر له تفسيره لحلمه وحلم الخباز، فأرسلونى إليه أقص عليه حلمك، فأرسله إليه وذكر له حلمه السالف فقال له: السبع البقرات السمان سبع سنوات خصبة تمر بمصر فادخروا ما تحصدونه واتركوه فى سنابله حتى لا يأكله السوس، وتليها سبع سنوات مجدبة تأكل ما ادخرتموه من الحبوب. وذكر الساقى للملك تفسير يوسف فأعجبه، وقال: ائتونى به، وهنا يذكر القرآن خبرا لم تذكره التوراة وهو أنه أبى الخروج من السجن إلا بعد أن تثبت براءته مما ادعته عليه زوجة فوطيفار وما ادعته عليه النسوة اللاتى أحضرتهن، وجئن، وقالت النسوة (ما علمنا عليه من سوء) وقالت امرأة فوطيفار: ﴿ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ﴾[1] أى اتضح ﴿ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ

(١) سورة يوسف الآية ٥١.

بِٱلسُّوٓءِ ﴾[1] واستقبله ملك مصر الهكسوسى استقبالا كريما وجعله على خزائن مصر. وفى التوراة أنه جعله على كل أرض مصر وكان عمره ثلاثين سنة، وزوَّجه الملك بنت كاهن أون، وأنجب منها ولدين فى سنى الخصب التالية.

وجاءت أعوام الجدب، وكان الجوع شديدا فى أرض كنعان (فلسطين) وقال يعقوب لأبنائه اشتروا لنا من مصر قمحا، فنزل أبناؤه إلى مصر وكان يوسف القائم على أرض مصر الذى يبيع قمحها ﴿ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ ﴾[2] وسألهم عن أسرتهم، وكانوا عشرة، وقالوا إن لنا أخا لم يأت معنا (يريدون بنيامين شقيقه أبا وأما، فقال لهم أنتم جواسيس ولكى نثق فيكم اتركوا أحدكم عندنا، واختار شمعون رهينة، حتى إذا جاءوا ثانية انضم إليهم. وقال لهم يوسف: ائتونى معكم بأخيكم الذى لم يصحبكم يريد بنيامين شقيقه أبا وأما وأمر بوضع الفضة (النقود) التى جاءوا بها لشراء القمح فى صُرَر، وعادوا إلى أبيهم بالقمح، وقالوا له إن القائم على البيع استبقى منا شمعون رهينة حتى لا نكون جواسيس، وطلب أن نصحب معنا أخانا بنيامين حتى يعطينا القمح الذى نريده، فقال لهم: ﴿ هَلۡ ءَامَنُكُمۡ عَلَيۡهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمۡ عَلَىٰٓ أَخِيهِ "يوسف" مِن قَبۡلُۖ ﴾[3] ووجدوا صُرَرَ الفضة فى القمح فقالوا لأبيهم إن ثمن القمح رُدَّ إلينا، ووافق أن يصحبهم بنيامين وأخذ عليهم موثقا من الله أن يأتوه به إلا أن يغلبوا على أمرهم وأعطوه عهدا موثقا بذلك، وقال لهم – كما فى سورة يوسف – ﴿ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ ﴾[4] وربما كان يخشى عليهم من الحسد –

(١) سورة يوسف الآية ٥٣.
(٢) سورة يوسف الآية ٥٨.
(٣) سورة يوسف الآية ٦٤.
(٤) سورة يوسف الآية ٦٧.

ولا تذكر التوراة ذلك – وفى السورة أنهم ﴿لَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُ﴾[1] بنيامين وقربه منه و ﴿قَالَ﴾ له ﴿إِنِّيٓ أَنَآ أَخُوكَ﴾ يوسف ولا تذكر ذلك التوراة. واحتال يوسف على إبقاء أخيه بنيامين عنده بأن أمر فتيانه أن يجعلوا الصاع الذى كالوا به القمح فى وعاء بنيامين، ولما تجهزوا للسفر نادى مناد: ﴿أَيَّتُهَا ٱلۡعِيرُ إِنَّكُمۡ لَسَٰرِقُونَ﴾[2] وقالوا لهم إن وجدناه فى وعاء أحدكم فما جزاؤه فى شريعتكم قالوا يصبح عبدا مسترقا، ووجدوه فى وعاء بنيامين، فقالوا كما فى سورة يوسف ﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفۡسِهِۦ﴾[3] وعادوا إلى أبيهم وقالوا له إن بنيامين سرق واستعبد فى مصر، وقال لهم – كما فى السورة. ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞ﴾[4] ثم قال لهم: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾[5] أى تعرفوا على أخبارهما ﴿وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ﴾ أى من رحمته وفرجه وعادوا إلى يوسف بمال قليل يطلبون قمحا، فعرفهم بنفسه، وقال لهم أنا يوسف وهذا أخى بنيامين ﴿قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ﴾[6] وقالوا له كما فى السورة: ﴿تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ (٩١) قَالَ لَا تَثۡرِيبَ (أى لا لوم) عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾[7] ثم قال لهم: ﴿ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا﴾[8] أى

---

(١) سورة يوسف الآية ٦٩.

(٢) سورة يوسف الآية ٧٠.

(٣) سورة يوسف الآية ٧٧.

(٤) سورة يوسف الآية ٨٣.

(٥) سورة يوسف الآية ٨٧.

(٦) سورة يوسف الآية ٩٠.

(٧) سورة يوسف الآيتان ٩١ ، ٩٢.

(٨) سورة يوسف الآية ٩٣.

تعود إليه قوة بصره . ولم تذكر التوراة أن يوسف أرسل قميصه معهم إلى أبيه ثم قال لهم: ﴿ وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ وجاءه أبوه وعشيرته جميعا ويقال إنهم كانوا ستة وستين شخصا. جاءوا مع أبيه بأغنامهم وكل مقتنياتهم وأنزلوا في أرض خصبة بجاسان كما في التوراة، وأكبر الظن أنها كانت في إقليم الشرقية. ولما دخلوا عليه — كما في السورة: ﴿ رَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ ﴾[1] وكانت أمه راحيل توفيت في ولادة أخيه بنيامين وتزوج يعقوب أختها لينة فقامت على تربيته ودعاها أمه. ويقول الله: ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ أي خر أبوه وخالته وإخوته الأحد عشر سجدا، وهي عادة في عصره لتحية الملوك والرؤساء، والتفت إلى أبيه وقال له: ﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ أي رؤياه التي ذكرت في أول السورة: ﴿ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾[2].

وواضح من مقابلاتي في قصة يوسف بين نصها في التوراة ونصها في القرآن الكريم مدى ما يصحح القرآن من تحريفات في كلام التوراة ومدى ما يعيد إليها من سواقط المواقف والمشاهد، وبحق يقول الله لرسوله في نهاية القصة ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾[3] بتصحيحاته وسواقطه التي لم يكن أحد يعلمها من العرب وأصحاب التوراة وهو إعجاز رباني في قصص المرسلين لا يمائله إعجاز.

---

(١) سورة يوسف الآية ١٠٠.

(٢) سورة يوسف الآية ٤.

(٣) سورة يوسف الآية ١٠٢.

فى قصة موسى

موسى من أبناء الجالية الإسرائيلية التى جلبها يوسف من فلسطين لتعيش فى مصر كما مر بنا فى حديثنا عن يوسف، وبينهما نحو أربعمائة عام، تكاثرت فيها الجالية، وظل بعضها مقيما فى الإقليم الذى اختاره يوسف لهم فى محافظة الشرقية كما يظن. ونزح كثير منهم إلى منف العاصمة، وتزوج رجل منهم من بيت "لاوى" فتاة من عشيرته يسمى عمران، وأنجب منها ابنه هارون، وبعد ثلاث سنوات أنجب منها طفلا، وكان فرعون قد أصدر أمرا بقتل الذكران من أبناء الإسرائيليين حين يولدون، وظلت ترضعه ثلاثة أشهر، وهى خائفة أن يهجم عليها بعض شرطة فرعون ويقتلون الطفل قهرا، فألهمها الله – كما فى سورة طه – أن تعد له تابوتا تضعه فيه، وتقذف بالتابوت فى اليم أى فى النيل، ويلقيه النيل فى الساحل فيلتقطه من لا يعرف أنه عبرانى. وذلك أول تصحيح فى القرآن لما جاء فى التوراة من أن أمه وضعته فى الخفاء على حافة النهر، وأن ابنة فرعون نزلت إلى النهر لتغتسل ومعها جواريها، فرأت التابوت وأمرت جارية بإحضاره إليها، وكانت أخته ترقبه. فعرضت عليها أن تحضر له عبرانية ترضعه، وجاءتها بأمه – وابنة فرعون لا تعلم – فكلفتها بإرضاعه. ولما فطم ومشى جاءت به إلى ابنة فرعون فصار لهما ابنا وسموه موسى.

وتصحح سورة القصص هذا الجزء، إذ تذكر أن آل فرعون حين التقطوا موسى وعرفوا أنه عبرانى هموا بقتله، وأنقذته امرأة فرعون قائلة لهم ولفرعون لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا. ويقول الله إنهم جاءوا له بالمراضع فعافها ولم يقبل عليها، ودلتهم أخته على امرأة ترضعه، وجاءتهم بأمه فأقبل عليها، ورده الله إليها .

وتربى موسى فى بيت فرعون ولما كبر كان يخرج أحيانا لزيارة أمه وإخوته وذات مرة رأى عبرانيا ومصريا يقتتلان فنصر العبرانى وقتل المصرى، وفى اليوم التالى رأى العبرانى يقتتل مع رجل آخر، وحاول التدخل بينهما، فقال المصرى – وفى التوراة أنه عبرانى – أتريد أن تقتلنى كما قتلت نفسا بالأمس. وفى التوراة أنه خاف إذا عُرف أنه قاتل المصرى بالأمس، فهاجر إلى مدين وتصحح سورة القصص الخبر: أن رجلا جاء موسى من أقصى المدينة يسير سيرا سريعا وقاله له: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ﴾[1] (أى أولى الأمر حول فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ أى يتشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ بقتلك المصرى ﴿فَٱخْرُجْ﴾ من مصر ﴿إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ وتوجه تلقاء مدين شمالىّ الحجاز.

وتقول سورة القصص: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ﴾[2] أغنامهما ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ أغنامهما وتكفانها ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾ لا تسقيان أغنامكما ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ أى حتى ينتهى الرعاة من سَقى أغنامهم ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ فليس معنا رجل يسقى لنا ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾[3].

والخبر فى السورة يصحح ما جاء فى التوراة من أن البنات لم يكن اثنتين بل كن سبع بنات وأنهن أتين البئر واستقين وملأن الجرار ليسقين غنم أبيهم، فأتى الرعاة وطردوهن فنهض موسى وأنجدهن وسقى غنمهن.

ورجعت الفتاتان إلى أبيهما يثرون وكان كاهن مدين، وذكرتا له أن مصريا ساعدهما فى سقى الغنم، فقال لهما ادعوانه لنقدم له طعاما ، وجاءه وقص عليه

---

(١) سورة القصص الآية ٢٠.

(٢) سورة القصص الآية ٢٣.

(٣) سورة القصص الآية ٢٤.

قصته، فقال له كما فى سورة القصص، إنى أريد أن أزوجك ﴿ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾[1] قال موسى: ﴿ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴾[2]. ولا تذكر التوراة شيئا من ذلك. وكان الأجل بين موسى ويثرون انقضى فرأى أن يعود إلى مصر ليرى أهله. وفى التوراة أن موسى عاد إلى مصر بأمر ربه ليخلص العبرانيين من ذل عبوديتهم لفرعون. وعند الطور فى سيناء كلمه الله فى الوادى الأيمن المقدس، وقال له ألق عصاك فإذا هى حية تزحف على الأرض وارتعب موسى فقال له لا تخف وردّها إليه. وقال له اسلك يدك فى جيبك (بأعلى قميصك) تخرج بيضاء، وهما برهانان من ربك لتريهما فرعون وتطلب إليه أن يرسل معك بنى إسرائيل بعيدا عن مصر لعبادة الله. ويطلب موسى من ربه أن يرسل معه أخاه هارون ويستجيب له، فيرسله معه إلى فرعون مطالبين بأن يرتضى خروج بنى إسرائيل من مصر لعبادة الله.

وجاء موسى وهارون إلى فرعون معبود المصريين، وقالا له ﴿ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾[3] وسأل فرعون موسى من ربكما فقال له موسى رب العالمين فقال له فرعون – كما فى سورة الشعراء – ﴿ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[4] فأجابه رب السموات والأرض وربكم ورب آبائكم الأولين، وكان مما قاله فرعون له: ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴾[5] يقال هى ثلاثون سنة قبل

---

(١) سورة القصص الآية ٢٧.

(٢) سورة القصص الآية ٢٨.

(٣) سورة طه الآية ٤٧.

(٤) سورة الشعراء الآية ٢٣.

(٥) سورة الشعراء الآية ١٨.

ذهاب موسى إلى مدين ﴿وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾[1] قال موسى له : ﴿فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ . فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا (معرفة سديدة) وَجَعَلَنِي مِنْ الْمُرْسَلِينَ . وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[2] بذبح أبنائهم وتعذيبهم واستعبادك لهم. وهذا الحوار بين موسى وفرعون لم تذكره التوراة كما لم تذكر التفات فرعون إلى من حوله فى حواره مع موسى وقوله لهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾[3] وأصدر أمرا إلى وزيره هامان قائلا: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَاهَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِي صَرْحًا (بناء عاليا) لَعَلِّي أَطَّلِعُ (منه) إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾ .

وقال موسى لفرعون وملئه إنى لا أقول على الله إلا الحق ﴿قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾[4] وقال فرعون ﴿إِنْ كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ (أى معجزة) فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ﴾ – كما فى سورة الأعراف ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ . وَنَزَعَ يَدَهُ (من جيب قميصه) فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ﴾[5] وقال الملأ من قوم فرعون ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَسَـٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾[6] وأشاروا على فرعون أن يجمع له سحرة مصر (وكانت مصر تشتهر بالسحر وكثرة من فيها من السحرة) وجاءوا وضرب فرعون لهم موعدا مع موسى فى يوم عيد لمصر، والتقوا معه بعتادهم من العصى والحبال، وألقوها فاستحالت أفاعى وثعابين فى أعين الناس، وألقى موسى عصاه فإذا هى تبلع كل ما خيله السحرة للناس من أنه ثعابين، فآمن

---

(١) سورة الشعراء الآية ١٩.

(٢) سورة الشعراء الآيات ٢٠ – ٢٢.

(٣) سورة القصص الآية ٣٨.

(٤) سورة الأعراف الآية ١٠٥.

(٥) سورة الأعراف الآيتان ١٠٧ ، ١٠٨.

(٦) سورة الأعراف الآية ١٠٩.

السحرة بأن موسى مرسل من رب العالمين: وسجدوا لله تعظيما وإجلالا، وقال لهم فرعون ﴿ آمَنتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ .. لأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[1].

وتمادى فرعون فى تكذيبه موسى، وعاد مع أخيه إلى قومه وأوحى الله إليه وإلى أخيه هارون أن يتخذا كما فى سورة يونس بيوتا لعبادة الله ويقيما فيها الصلاة، وظل المصريون معتنقين دينهم وعبادة فرعون، إلا ما كان من امرأته، كما جاء فى سورة التحريم من قوله جل شأنه: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[2] ويبدو أنها آمنت بموسى سرا ولم تُعلم أحدا، ولم تذكر التوراة نبأها وإيمانها بموسى وربه ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ (كما جاء فى سورة الأعراف) أَتَذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَائَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[3] وبذلك أعاد فرعون الأمر بقتل أبناء العبرانيين واستحياء إناثهم، ولم يذكر ذلك فى التوراة.

وقال فرعون فى سورة غافر: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴾[4] ولم يذكر ذلك فى التوراة ويبدو فيها أنه كف عن ذلك من نفسه، ويذكر القرآن أن مؤمنا من آل فرعون كان يخفى إيمانه سمع أو علم بمقولة فرعون: ﴿ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ ﴾ فتعرض له ناصحا قائلا: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن

---

(١) سورة الأعراف الآيتان ١٢٣، ١٢٤.

(٢) سورة التحريم الآية ١١.

(٣) سورة الأعراف الآية ١٢٧.

(٤) سورة غافر الآية ٢٦.

يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ﴾[1] ويبادره فرعون قائلا: ﴿ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ ﴾[2] أى لا أشير عليكم إلا بما أراه الرأى الصواب. وأخذ المؤمن يخوف فرعون وملأه أن يصيبهم مثل ما أصاب الأمم المكذبة لرسلها قبلهم، وخوَّفهم من يوم الحساب، وذكَّرهم بيوسف ووعظه لهم حتى إذا توفى قلتم لن يبعث الله لنا رسولا بعده . وعاد هذا المؤمن فى السورة يعظهم قائلا: ﴿ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴾[3] والفلاح ﴿ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ ﴾[4] قليل ﴿ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴾ أى الدوام ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[5]. وموعظة هذا المؤمن فى سورة غافر تستوعب اثنتى عشرة آية، ولم تذكر منها التوراة شيئا.

وتتوالى على مصر – كما فى سورة الإسراء – تسع ألوان من العذاب وكلما نزل بمصر عذاب توسل فرعون إلى موسى ليرفعه عن مصر، حتى إذا رفعه عاد إلى طغيانه، وذكرتها فيما أسلفت بالفصل الأول فى حديثى عن موسى ومعجزاته، وذكرت هناك أن ثلاثة ألوان من العذاب سقطت فى سفر الخروج وذكرت فى سورة الأعراف وهى طوفان النيل وفيضانه الشديد والجدب فى بعض السنوات ونقص الثمرات. وكان من ألوان العذاب إرسال الله القمل (ضرب من القراد يمتص الدماء) فحرفته التوراة فى سفر الخروج إلى البعوض والذباب. ومن هذه المعجزات

---

(١) سورة غافر الآية ٢٨.

(٢) سورة غافر الآية ٢٩.

(٣) سورة غافر الآية ٣٨.

(٤) سورة غافر الآية ٣٩.

(٥) سورة غافر الآية ٤٠.

الدم، وذلك أن موسى إذا سكب من ماء النيل على الأرض استحال دما كما فى الإصحاح الرابع بسفر التكوين، وأعيد فى الإصحاح السابع مع مبالغات شديدة، حتى ليستحيل نهر النيل دما خالصا، وهو تحريف واضح. ومن مبالغات سفر التكوين أن مصر لا تطلع فيها الشمس ثلاثة أيام وتظلم ظلاما شديدا، ويضيف الإصحاح الثانى عشر موت كل بكر من الناس.

وينسب إلى الله تحريف فى الإصحاح الثالث: أن كل امرأة إسرائيلية تطلب من جارتها المصرية أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا ويضعنها على بنيهن وبناتهن فيسلبن المصريات، وهى سرقة لا يمكن أن يطلبها الله إذ حرم السرقة فى جميع الديانات، وهى مما دخل على التوراة من التحريفات.

واضطر فرعون إزاء ما ينزل على مصر من صنوف العذاب أن يأذن لبنى إسرائيل بالانطلاق مع موسى إلى البرية، ثم ندم ندما شديدا، فجمع جيشا من جنده، وتبعهم بمركبات فى اتجاه مسيرتهم إلى البحر الأحمر على خليج السويس، ووصلوا إلى البحر الأحمر وفرعون وجنوده يقتربون منهم وظنوا أنه يوشك أن يلحقهم، وطمأنهم موسى، وضرب البحر الأحمر كما أمره الله، فانفلق وانفرج لهم عن طريق عبروه من الشاطئ الشرقى فى مصر إلى الشاطئ الغربى من سيناء. وتقول التوراة: إن الله أرسل إلى البحر ريحا شرقية فتحت لبنى إسرائيل هذا الطريق فسلكوه، والقرآن يصحح الخبر وأن الطريق فى البحر انشق بضرب موسى له بعصاه كما أمره الله. وتبعهم فرعون بجنوده حتى إذا توسطوا البحر انطبق عليهم وغرقوا جميعا .

وكان الإسرائيليون قد ظلوا بمصر بعد وفاة يوسف طوال أربعمائة عام وثلاثين وتوالدوا فيها حتى بلغوا ستمائة ألف سوى الأولاد كما فى الإصحاح الثانى عشر من سفر الخروج ، وكان كثير منهم قد تحول عن دين آبائه إلى دين المصريين الوثنى، فلما اجتازوا البحر ونزلوا سيناء مروا على قوم يعبدون أصناما لهم،

ولعل بعضهم كان يعبد عجل أبيس معبود المصريين، فقالوا لموسى: ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ ﴾[1] فقال لهم: ﴿ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ﴾ الله وعبادته ووحدانيته، إن هؤلاء الوثنيين سيُدمَّر ما هم فيه ﴿ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[2]. وهذا الموقف ساقط من التوراة كما سقطت أمثاله السابقة.

وكان موسى قد ذهب للقاء ربه طوال أربعين يوما ليأخذ عنه شريعة التوراة، ولما طالت غيبته أياما متوالية قلق الإسرائيليون فتقدم إليهم شخص كافر بموسى وتعاليمه يسمى السامرى كما في الآية رقم ٨٧ من سورة طَه ويبدو أنه كان في مصر نجّارا لمعبودها عجل أبيس الذهبى فقال لهم اجمعوا لى الذهب الذى جمعتموه من النساء المصريات فجمعوه له، فسوى لهم منه بالنار عجلا من الذهب، له خوار وصياح وكأنه وضع فى داخله آلة نفخ، وعبدوه وحاول هارون أن يردهم كما فى سورة طه عن عبادته فأبوا وقالوا سنظل نعبده حتى يعود إلينا موسى. وذكرت التوراة فى الإصحاح الثانى والثلاثين أن هارون هو الذى جمع منهم الذهب الذى سرقوه من المصريات ونحت لهم تمثال هذا العجل الذهبى وعبدوه. وهو تحريف عجيب للخبر أن تجعل التوراة المحرفة هارون الرسول يرتد عن دينه ويصبح وثنيا . ورجع موسى فعاتب أخاه هارون وعرف أنه برئ. وتوجه إلى السامرى يسأله ما خطبه؟ فقال له: إنى كنت متدينا بدينك، ثم نبذته فى غيبتك وعبدت عجل أبيس أنا وقومك، وكذلك سوَّلت لى نفسى، وقال

---

(١) سورة الأعراف الآية ١٣٨.

(٢) سورة الأعراف الآيتان ١٣٩ ، ١٤٠.

له موسى: ﴿ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ﴾[1] لمن يقرب منك أن تقول ﴿لَا مِسَاسَ﴾ أى لا يمسسنى أحد وصار وحيدا طريدا ﴿وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ﴾ وهو عجل أبيس ﴿ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ وحرقه ونسفه. وبذلك تنتهى قصة موسى فى مصر وسيناء. مع بيان ما دخل عليها فى التوراة من تحريفات ومع رد ما سقط فيها من بعض حوار موسى مع فرعون ومن ألوان العذاب التسع التى نزلت بفرعون وقومه، ومن إيمان امرأة فرعون بموسى وربه، ومن دفاع مؤمن آل فرعون عن موسى حين فكر فرعون فى قتله، وموعظته لقومه وإنذارهم بيوم الحساب فى الآخرة إلى غير ذلك من أنباء الغيب التى لا يعلمها إلا الله والتى تشهد لقصص المرسلين فى القرآن بالإعجاز الربانى.

---

(١) سورة طه الآية ٩٧.